

مقاتلتهم إلى ساحل الحجاز ، فأحدثوا أمورا لم يسمع في الإسلام بمثلا حتى ذكر المؤرخون « أنهم توجهوا إلى المدينة النبوية فلم يبق لها وبينها وبينهم سوى مسيرة يوم واحد » .

قرأت هذا في مراجعتنا ثم وقع نظري على ما كتبه الأب لانس اليسوعي إذ قال : « أفت خليج العقبة وموقع أيلة أنظار البطل الصليبي ولمس أهميته فعمل على احتلال تلك القيمة ونشر الرعب بأسطوله ، ولا شك في أنه ضرب مثلا باقدامه وجرأته لجمع كبير من أبطال الاستعمار الاوروبي وبناته الذين جاؤوا من بعده فجاهدوا مثل جهاده ، فهو الذي شق الطريق أمامهم وهم نجحوا على منواله »

حَرَ كنى هذا الكلام مع غيره مما قرأت من كتاب الاوروبيين الذين أشادوا بممل البرنس ارناط ، أن أتبع هذه اللحمة ، التي لم تنجيني الدوافع التي أملتها ، وإن كانت عملا حريا كبيرا فيه الجارفة والمخاطرة إلى ابدى حدودها ، وأعجبت من عمل مصر ورجال صلاح الدين الذين عالجوا الموقف وخطورته بجرأة وإقدام ومجازفة لا تقل عما لدى الخصم وكان أن كتب النصر لهم .

فلتقف هنيهة لننظر ما يقدمه لنا ذلك العصر من بطولة وقوة ومن شاكل وأحداث ومصاعب : في الفترة التي برز فيها هذا الخطر كان صلاح الدين بعيداً عن مصر ، يجمع شتات ملك الشام . كان ينزل الموصل بعد أن تم له فتح حران وسروج وسنجار ونصيبين والرقه وجميعها من بلاد الفرات الشامية ، فإذا برسول خليفة بغداد يستعطفه بشأن الموصل فيرجل عنها ليأخذ حلب من عز الدين مسعود الاتابكي ويموضه عنها بسنجار .

في وسط هذه المماحقات القائمة وتبدل الدول حيث يمل البطل الكبير إلى عودة حدود المملكة المصرية الإسلامية إلى سابق عهدها ، كما كانت أيام آل طولون والاشيد والقواطم في إبان عهدهم ، يفاجأ بهذه الحركة التي يقصد منها عرقلة مشاريعه وقطع اتصاله مع حاصمة ملكه . وسرى أن العاهل الكبير أدرك خطورة هذه الحيلة فقطع ما كان مزمما عليه وعاد إلى الشام ليدير حملاته الكبرى التي افتتح فيها اراضى الكرك والشوبك ثم انتهى إلى حطين حيث وقع البرنس ارناط اسيراً بين يديه .

لقد خدم ارناط الروبة ودين محمد ، فقد كنا نحبو إلى حطين

صحائف مطوية :

رأس النقب وخليج العقبة

صحة البرنس ارناط على اراضى القنطرة الإسلامية :

عام ٥٧٨ هجرية

للأستاذ أحمد رمزي بك

—>>><<<—

قالوا « الحرب رضى تقالها الصبر وقطها السكر ومدادها الاجتهاد وتقاها الاناة وزمامها الحذر » (العقد الفريد) ، أما تلك التي أضعتها أمامك فكانت ملحمة من ملاحم الحروب الفاصلة جمعت بين قوات البر والبحر معا ، وقامت فيها المصادمة على ظهور المراكب والطاردة على رمال الصحراء . ولم تتسع للصبر لأن السرعة كانت عنصرها ، ولا للسكر والاجتهاد واصطناع الخديعة لأنها جاءت على غير استعداد ، ولم يصاحبها الحذر لأنها بُنيت على الفاجأة والاقدام .

كان مشروعاً دفعه الحقد والحق والفور ، ذلك المشروع الحربي الذي دار بمخيلة البرنس ارناط صاحب الكرك ونصميه الفرنجة Renauld de Chatillon فقد أقسم أيماناً ملتزمة على فتح الحجاز وإيذاء المسلمين في أشرف بقعة يقدسونها ، ولذلك أنشأ أسطولا في اراضيه جعله من قطع حملتها الابل ، وسارت بها وسط القفار لياتي بها في خليج العقبة ، وساعده بعض أشرار البدو في عدوانه ولم تأت سنة ٥٧٨ إلا والأسطول بمخر عباب البحر الأحمر ، وإذا به ينقسم إلى فرقتين أقامت الأولى على حصن المسلمين بمخيل العقبة محاصره ، واتجهت الاخرى جنوباً تهاجم موانئ البحر على الشاطئين الاسيوي والافريقي فاختل طريق الحج وأخذ الأسطول بطارد المسلمين في عقر ديارهم وعلى أمواج بحرهم ، فأصبحوا تحت رحمة هذا الجبار ، ولما وصل الخبر إلى مصر وكان بها الملك العادل ابو بكر نائباً عن أخيه السلطان صلاح الدين ، بادر بإنشاء أسطول نقله إلى خليج السويس وسلم قيادته للحاجب حسام الدين لؤلؤ ، فسار مجدداً في طلب الفرنجة حتى أوقع بهم بعد أن أمضوا شهوراً يجوبون البحر الأحمر إلى عدن وينزلون

فرضا على الدولة صاحبة السيادة على مصر؟ أكانت تقراء في عالم النيب والشهادة تطورات ضرب فلسطين ومواقع القتال أم مارك الدردينيل عام ١٩١٥؟ أما التقارير الرسمية والأوراق السرية فقد أظهرت للعيان أن خطط اقتحام المضائق وغاليبول قد وضعتها قيادة البحر مع اشتراك قيادة البر في سنة ١٩٠٦ وهي السنة التي تمت فيها اتفاقات العقبة بين مصر وإنجلترا من جانب الدولة العلية من جانب آخر، فهل كان هذا من قبيل المصادفة ليس إلا؟ لا أستطيع لذلك جواباً لأن للسياسة الأوروبية أسراراً وطلاسم أعجز عن فهمها.

مر كل هذا هذا بدأ كرتي بعد أن قدم المؤلف اليهودي كتابه بجلداً تجليداً حسناً ومهدى إلى ممثل الدولة التي مهدت له الدراسة وسهلت له التنقل في ربوعها ليجت مسالة علمية، وليساهم بقسط ضئيل في المعلومات والابحاث عن أرض النقب، والنقب اسم منسج يشمل اجزاء من فلسطين وغيرها في نظره.

وتمر الأيام والسنوات تترى وتشاء الأقدار أن أعيش بمصر بعيداً عن الحياة العامة، فتهز نفسي يوماً اهتزازاً قوياً، ذلك لأن الجرائد اليومية تنشر ضمن أخبارها برقية من فلسطين تنبئ بأن جماعات صهيونية زحفت على أرض النقب وانشأت في بضع ساعات عشر مستعمرات يهودية في أماكن لم تكن مسكونة من قبل.

نعم نقلت العمال والزراع والسكان ومواد البناء والبيوت مفككة وآلات الأزرع والآليات على السيارات في ليلة واحدة وانشأت المستعمرات انشاءً وأحكمت البناء ولم تقدر السلطات على الوقوف أمام هذه الحركة ولا ردها، ولم يكن هناك سكان لأن أراضي النقب غير عامرة، أما أهل البلاد وأصحابها فكانوا في نوم عميق.

هنا انتهت وعدت إلى حملة ارناط أطلب الوحي منها. ألم ينقل الراكب والحقن مفككة على الجمال؟ ألم يحط مشروعه بالكمان ليبرز عنصر المفاجأة والمخاطرة، ألم يكن سريعاً في تصميمه وتنفيذ أغراضه. ولكن جاء رد الملك العادل سريعاً وحاسماً، لم يحجم ويتردد، لم يستشر ولم يترك الوقت يتناهب بل انشأ الأسطول ودفنه إلى البحر، وجاء بالحاجب لؤلؤ وكان مظفراً وشجاعاً ومجداً فاخذ الأمر بالمفاجأة والمخاطرة والاقدام وكتب

حجوا، فإذا بالطاغية وماحمته التي اثارها يجمنا تركض إليها ركضا، نعم، لنكتب على صعيد فلسطين أبناء الحركة الفاصلة في التاريخ والتي حطمت ملكاً أنشأه الفرنجة ظلماً على أراضي آسيا الإسلامية بضربة واحدة، وقدم ارناط للشرق كأماً مملوءة بالظفر شربها أبطالنا بمد مضي قرن من الزمن على الحركة الأندلسية الكبرى التي انتصر فيها يوسف بن تاشفين على جموع الاسبان وفلول الادفونش (٤٧٩ هـ - ١٠٨٦ ميلادية) واثبت عن حق أن عزائم المرابطين من قبائل المغرب كانت أقوى من عزائم الاسبان وفرسان أوروبا.

تلك هي اللحمة التي كانت في الماضي نعمة علينا فالبستنا من بعد حطين ثوباً من القدرة والانتصار، مالى أراها تماودنى ونقل مضاجي؟ اهناك أشياء آتية المسها من بعيد، سيخلقها المستقبل لنا؟ أنى أذكر تماماً أنه في عام ١٩٣٥ حينما كنت بالقدس جاء إلى كاتب يهودى وقدم إلى مؤلفاً بالعبرية كتبه عن أراضي النقب وطلب إلى أن أقرأه. وكان أن ساءت نفسي ما الذى يشغله بهذه البقعة النائية عن الحضارة الخالية من السكان، وماذا يقصد هؤلاء من النقب، وم لا يكادون يصلون إلى قرية بئر السبع إلا يشق الأتس؟ لم أر الأمر بعين الجسد، ودار حديث مع المؤلف عن هجرة إسرائيل من وادى النيل وضلالهم في سيناء، وعرضنا لكلمة التيه وعلاقة هذا الاسم بتلك القبائل التي تخطف في الريف المصرى باحثه عن المرعى لقطعانها من الغنم والتي يطلق عليها العرب من السكان اسم هتيم؟ هل هم سكان التيه؟ لا أدرى. وما خرج المؤلف حتى فتحت الكتاب فإذا به خريطة عاملة لتلك البقعة الهامة من أرض الشرق العربى التي ستؤثر في تاريخنا لألف سنة قادمة. واتجهت انظاري إلى العقبة إذ هناك تنتهى أراضي فلسطين الحديثة، وتذكرت النزاع الذى قام عام ١٩٠٦ بين مصر والدولة العثمانية أو بين بريطانيا وتركيا. ونجملت مجموعة كبيرة من الوثائق الرسمية والخرائط كفت اطلعت عليها من زمن مضى ومهما صور للفرمانات السلطانية التي منحت للخبديويين والولاة، وكانت الحدود بين مصر والدولة صاحبة السيادة عليها تنتقل بين السويس والعقبة أى تنتهى مرة هنا وأخرى هناك فما الذى حرك السياسة البريطانية عام ١٩٠٦ لاثارة مسالة العقبة وجعلها مسالة دولية وما الذى دفعها لى تقرض إرادتها

إليها من هو راكب ، ولذلك أسلحها فائق مولى خارويه بن أحمد بن طولون ومهد الطرق إليها ، وعرض في خططه إلى الحوادث التي نحن بصدها أي إلى حملة البرنس ارناط بتفصيل أعم مما ذكره في السلوك فقال نقلا عن القاضي الفاضل : « في سنة ٥٦٦ أنشأ سلاح الدين مراكب مفصلة وحملها على الجبال وسار بها من القاهرة في عسكر كبير لمحاربة «أبلة» وكان الإفريج قد ملكوها وامتنعوا بها فنازلها في ربيع الأول وأقام المراكب وأسلحها وطرحها في البحر وشحنها بالمقاتلة والأسلحة وضيق عليها الحصار في البحر حتى فتحها ثم أسكن فيها جماعة من ثقاته وقوام بما يحتاجون إليه من سلاح وغيره وعاد إلى القاهرة »

وعن القاضي الفاضل أيضا « في سنة ٥٧٧ وصل كتاب من نائب القامة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الإفريج إذ وصل البرنس (يقصد ارناط صاحب الكرك) وسير عسكره إلى ناحية تبوك ، وربط جانب الشام لخوفه من عسكر يأتي لمحاربه من مصر » وإنما سقنا كل هذه الاشارات ووضعنا في وسط كلامنا ما سجلته المراجع لكي نثبت للقارىء التيقظ الذي يهيمه أمر مصر والبلاد العربية ومستقبل الأجيال القادمة شيئا واحداً : هو أن خليج العقبة ورأسه حيث ملتقى الحدود الأربعة كان موقفاً استراتيجياً مهماً جداً يؤثر في عوامل التاريخ وبناء الممالك وفي حفظ الحدود وسوق الحيوث في الجاهلية وفي الإسلام وقد ظهرت خطورته في الحروب الصليبية وكاد أن يكون ضياع هذا الركن حاسماً لولا أن قيض الله للمسلمين الملك القائد العظيم سلاح الدين الأيوبي ، الذي عرف في الوقت المناسب أن يسد هذا الخرق ويحفظ هذا الثغر ويبقى البلاد من عبث « أرناط » واطار رجاله ونعلم الآن ان هذا الموقع لم يكن يجمع الحاج من مصر والشام فحسب بل كان أكثر من هذا كان طريق الاتصال الوحيد بين مصر والشام حينما انقطع الطريق المتداد بينهما بتهديد الصليبيين وأنه لولاه لتعذر على جنود شيركوه وابن أخيه سلاح الدين انقاذ مصر ، ولولاه لتعذر على جنود مصر الحصول على شرف القتال بمراكب فلسطين والشام . وإذا قلت ان طريق البحر كان مفتوحاً بين مصر والحجاز فلدينا وصف شامل عن رحلة ابن جبير الأندلسي من القاهرة لجددة ومالقيه من المتاهب في طريق البر والصحراء وطريق البحر من عيذاب وما ترضى له من اخطار . فنحن أمام

للمسلمين صفحة من المجد .

فأين عمله من عملنا اليوم ونحن إذا رصفنا طريقاً بين مصر والعباسة أمضيئنا الشهور والسنوات وغيرنا يقيم عشر مستعمرات في ليلة واحدة ؟

رأس النقب يعمر وخليج العقبة تعود إليه الحياة ، إنها لكبيرة على النفس لأن صفحة جديدة من المراكب والتصادم تبدأ ، لو كنا احياء نشر بالاعصار القادم علينا .

إذا اردت أن تعرف بالضبط مدى هذه الصيحة ، أفتح خريطة لهذه المنطقة نجد حدود أربع دول تتلاقى في بقعة واحدة هي نهاية خليج العقبة ، وتبدأ حدود مصر من « طابة » وهي مع فلسطين لا يشار كهما فيها أحد ، أي إذا اردت الذهاب لشرق الأردن أو الحجاز أو نجد ، يجب أن تمر بالمر الفلسطيني وهو مثل ممر دانتريج الشهور ، وبهذا الممر تتصل فلسطين لأول مرة في التاريخ مع المحيط الهندي واستراليا بدون أن تحتاج لقناة السويس . ماذا يجنبه لنا هذا الاتصال وماذا سيكون من أثر هذا الممر الأرضي؟ أشياء كثيرة سيعرفها الأبناء والأحفاد قبل أن يلتمسها الأحياء الآن لأنهم لاهون بأنفسهم وأطعمهم - أما من الناحية الأخرى فهناك تلاقى حدود مملكتين هما العربية السعودية وشرق الأردن ، وتقع مدينة العقبة في داخل حدود الثانية .

لنتظر الآن ماذا يقول القدماء عن العقبة : هي عقبة ابله وهي مدينة بين القسطنطين ومكة على شاطئ البحر تمتد في بلاد الشام وهي جليظة بها مجتمع حاج القسطنطين والشام^(١) . وورد عن أيلة في قاموس الكتاب المقدس أنها فرضة شهيرة في أرض أدوم على الشاطئ الشرقي من الخليج ، مريها بنو اسرائيل وكانت ذات شأن في زمن سليمان والاراجع أن داود تغلب عليها ثم استرجعها أهل أدوم . ونقل المقرئ في خططه أنها « كانت حد مملكة الروم وعلى ميل منها باب معقود لقيصر وكان بها قوة مسلحة يأخذون المكس ، وكانت في الإسلام منزلاً لبني أمية وأكثرهم موالى عثمان بن عفان وكانوا سقاة للخج ، وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة وهي كثيرة النخل » ، وقال عن العقبة « لا يصمد

(١) كلام ابن عيينة نقله بالوت

فإذا، ددنا للعمل في هذه الناحية؟ وهل الياء الإقليمية لمصر
والملكة السمودية محروسة؟ وما هي القوة التي تحرسها في خليج
العقبة في الوقت الذي تمر به أكبر الحوادث في مستقبل العالم العربي؟
لا أعرف شيئاً عن اجتماعات العرب وأجهات الجامعة فأنا بعيد عن
الحاضر أعيش في التاريخ، ولذلك انقل من كتاب بعث به السلطان
صلاح الدين إلى أخيه عن الاسرى الذين أتى بهم لؤلؤ إذ قال
«هؤلاء الاسارى قد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها، وتطرقوا
بلاد القبلية وتطوفوها، ولو جرى في ذلك سبب والياذ بالله اضاقت
الاعذار إلى الله والحاق وانطلقت الأسرى بالمذمة في الغرب
والشرق» وتقدم الشعراء بمدح الحاجب لؤلؤ فمن ذلك قول أبي
الحسن ابن الدروي .

مرّ يوم من الزمان عجيب كاد يبدى فيه السرور الجماد
إذ أتى الحاجب الأجل بأسرى قرتهم في طهتها الازفاد
بجبال تكهن جبال وعلوج كأنهم أطواد
فلت بمد التكبير لما تبدى هكذا هكذا يكون الجهاد
حبذا لؤلؤ يصيد الأعدى وسواه من اللآلى يصاد
وهو شمر كما ترى يتفنن مع جالنا اليوم في البيت الأخير .

أصغر رمزي

إدارة البلديات العامة

تقبل المطايات بإدارة البلديات
(بوسنة قصر الدبارة) لنهاية ظهر يوم
٤ مارس سنة ١٩٤٧ عن عملية مياه
ارتوازية ببلدة نقادة .

وتطلب الشروط والوصفات الخاصة
بذلك من الادارة على ورقة دمنة فئة
الثلاثين ملياً مقابل مبلغ ١ جنيه للنسخة
الواحدة عدمصاريف البريد ٦٧٨٧

موقع هام من مواقع التاريخ يستدعى أن تتلاقى الحدود بشكل
يسمح باجتماعها في نقطة واحدة . وتنحدر من الماضي إلى العصر
الحاضر وأهم مظاهر الدنيا هي الحروب ، فقد ذكرت المؤلفات
الرسمية التي نشرتها وزارة الحربية البريطانية عن تاريخ الحرب
العظمى الأولى طبعة ١٩٢٨ ما يأتي « لقد أصبح من المحتم بمد
نشوب معركة غزة الأولى والثانية مارس وإبريل سنة ١٩٠٧
احتلال العقبة ، وقد تم ذلك بواسطة لورنس في يوليو ١٩١٧ ،
وباحتلالها مهد الأسطول في جعلها قاعدة حربية ومركزاً عسكرياً
ممتازاً ساعد كثيراً في تهيئة واعداد العمليات الحربية التي سندت
مهيئة جيش النبي في قتاله مع الأتراك » وليان ذلك نرجع إلى
ما كتبه حاكم القدس السابق « سنورس » فقد قرر « أن فترة
الجمود التي سادت الجزيرة قد انتهت باحتلال العقبة التي أخذت
مكان رابع والوجه ، وجاءت الحرب العظمى الثانية فإذا بخليج
العقبة من أحسن الأماكن أماناً لتفريغ المتاد الأميركي والمؤن والذخائر
ليمدد عن طارات الطائرات ، وكان أن انشأت السلطات العسكرية
البريطانية خطاً حديدياً اضافياً يبدأ من مدينة عمان وهي على الخط
الحديدي الحجازي ويتجه إلى الجنوب مشرقاً حتى ينهي إلى رأس
النقب . ومن هناك نظراً للانحدار الشديد تمقرر أن يصل القطار إلى
البحر فاكثفت بإنشاء طريق مبيد للسيارات انتهى إلى نمر العقبة
هذه كلمة أولى عن المنطقة الواقعة على رأس خليج العقبة وهي
في الوقت نفسه رأس النقب إذا أطلقنا هذا الإيم على الشكل
الجغرافي الذي يبدأ عربضاً من الشمال ويتقارب كلما انحدر جنوباً
وهو الجزء من فلسطين الواقع بين حدود مصر وحدود شرق الأردن
والذي صمم الصهيونيون على استثماره واستغلاله للوصول إلى
البحر الأحمر ، وهم يتحدون بمعلم التاريخ والطبيعة والأقطار
المرية . فالذي أعدناه لمواجهة هذا النشاط الانشائي ؟
تبدول دائماً الحركة الصهيونية أنها تحاول أن تأخذ شكلاً
توسمياً جازقاً ، ولكنني مع هذا ألس أنها تسير وتبدأ بخطوات
منظمة ومتصلة وهي حركة خطيرة لأنها لا تحمل طابع الضرور
والادعاء ولا تمتد على الاعضاء والزخرفة والتشويق وإنما على
الوسع والطاقة والمسلم والتنظيم ، وتمر الأيام فإذا ببحر من رأس
خليج العقبة ينبي . بان أول منظمة يهودية لميد الأسماك قد ظهرت
على شاطئ البحر الأحمر وستكون بمد هذه الخطوة خطوات .